بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د. جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.. وبعد،،

يدرك كل فاحص مدقق للإسلام كعقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة، أن هذا الدين هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم وحتى محمد عليهم جميعا صلاة الله وسلامه، وأن الشريعة الإسلامية الخاتمة أرست أسس بناء حضارة إنسانية تحقق أقصى درجات التقدم والنهضة في إطار مجموعة من الضوابط الشرعية التي تضمن للناس جميعا حقوقهم وحرياتهم وكرامتهم، دون أي تمييز على أساس الدين أو العرق أو اللون أو اللسان.

والقراءة الاجتماعية للإسلام تؤكد على عدة أمور أهمها: أنه جاء رحمه للعالمين: قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء :١٠٧] وتؤكد على قيمة العدل، فهو أمر مباشر لكل ولاة الأمور، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل:٩٠] والعدل كقيمة كبرى من قيم الإسلام يساوى بين كل الناس دون تمييز على أى أساس، وبغض النظر عن الدين أو الاختلافات الأخرى، ودون نظر إلى الحب والكره، فإن الإسلام يأمر بالعدل حتى مع الأعداء (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [المائدة: ٢] .

والكتاب الذي نقدم له اليوم حول (العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية)، والذي أعده أ.د نبيل السمالوطى هو الكتاب الثالث في سلسلة الدراسات الحضارية التي تصدرها الرابطة، وقد قسم المؤلف دراسته إلى ثلاثة أبواب، عرض في الباب الأول لعطاء الإسلام في مجال العقيدة والقيم ومكارم الأخلاق، وتناول قيم الحضارة الإنسانية المنضبطة بوحى

الله، وإرساء الإسلام لحقوق الإنسان وحرياته، وإرسائه للتعايش السلمي، وللقيم والمعايير التي تحكم الإنسان في المجتمعات في حالات الحروب والنزاعات المسلحة.

أما الباب الثاني فقد خصصه لعطاء الإسلام في مجال إعلاء قيمة العلم والعقل والإبداع واكتشاف المسلمين للمنهج العلمي التجريبي الذي هو الأساس الأول لما يشهده العالم اليوم من إنجازات وثورات علمية وتكنولوجية ونهضة اقتصادية. كما أكد دور المسلمين في إبداع العديد من العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية والاجتماعية، فضلا عن إبداع العلوم الشرعية المؤسسة على الكتاب والسنة.

أما الباب الثالث فقد خصصه لعطاء الإسلام في مجال بناء النظم الإسلامية في مجال الأسرة والتربية والسياسة وبناء الدولة الدستورية التعاقدية، ومنهج الإسلام في مواجهة المشكلات والأزمات الاجتماعية، وفي الحفاظ على البيئة، وتحرير المرأة، كما عرض لأساسيات التشريع الجنائي في الإسلام، واستراتيجية الإسلام في عمارة الأرض ومواجهة الانحراف، والدراسة التي بين أيدينا دراسة علمية منهجية متعمقة شاملة، نرجو أن تفيد الدارس والقارئ والمتخصص.

والله ولي التوفيق

مقدمة تحليلية منهجية للدراسة

تعالج هذه الدراسة مجموعة من القضايا المهمة، وتتمثل في العطاء الحضاري الذي قدمه الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وحضارة، إلي الإنسانية كلها شرقاً وغربا، والذي أخرجها من الظلمات إلي النور، ومن عبادة الدنيا والمادة والعباد إلى عبادة رب الأرباب رب الأرض والسماوات... ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا والآخرة.

فقد أقام الإسلام صرحاً حضارياً شامخاً في كل المجالات ينطلق من عقيدة التوحيد النقية الخالصة لله رب العالمين وقد كانت هذه العقيدة هي أول ميثاق في التاريخ الإنساني وتاريخ المجتمعات، لتحرير الإنسان – مسلماً كان أم غير مسلم، امرأة أو رجلا، دون أي تمييز على أساس الدين أو العرق، أو اللون، أو اللغة أو الطبقة، أو الطائفة.... الخ

أقام الإسلام حضارة منضبطة بضوابط الوحي الذي هو هدى السماء إلي الأرض، حضارة تعلى إلى أقصى درجة من قيمة الإنسان، وقيمة العقل، وقيمة العلم، وقيمة الإبداع العلمي، وقيمة التنمية وعمارة الأرض وتجعل من العلم، وإعمال العقل، وعمارة الأرض، فريضة دينية. كل هذا في إطار منظومة من القيم التي تحفظ للإنسان كرامته، وحقوقه، وتحفظ للشعوب حقوقها واستقلالها وكرامتها، منظومة من القيم التي تتضمن إفشاء السلام ونشر الحق وتطبيق العدالة والإخاء والمساواة. منظومة من القيم تضمن لكل إنسان حقه في أن يعيش آمنا مطمئنا. ونقصد بالأمن هنا كل أنواع الأمن المادي، والأمن الاقتصادي، والأمن السياسي، والأمن الاجتماعي والأسري، والأمن الديني، والأمن الفكري، والآمن النفسي والمعنوي... الخ. وقد لخص القرآن الكريم رسالة الإسلام في قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (١٠٧) سورة الأنبياء

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد أعلت إلى غير ما حد من قيمة وقدرات وفعاليات العقل الإنساني المطالب شرعا بالتوصل إلى سنن الله في الكون والمجتمعات والتاريخ والإنسان، للانتفاع بها، ولزيادة الطاقة الإيمانية عند المسلمين والمؤمنين؛ وللتمكن من توظيف المسخرات الكونية التي خلقها الله وسخرها للإنسان(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢٩) سورة البقرة، فإن العقل الإنساني والحواس الإنسانية كمصادر للمعرفة إنما هي منضبطة بضوابط الوحي، ومنضبطة بمنظومة من القيم والثوابت الشرعية فعلاقة العقل بالنقل في الإسلام علاقة تفاعلية تبادلية، فنحن نفهم النقل بالعقل، ونضبط العقل بالنقل.

ومنظومة القيم والثوابت في الإسلام وظيفتها إطلاق النهضة والتقدم المادي والاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي والسياسي الشامل.. مع الحفاظ على إعمال مبادئ الرحمة والعدل للمجتمع، والابتعاد عن كل ما يؤدى إلى الانحراف أو الظلم، أو الفساد، أو الإفساد. يقول تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (٩) سورة الإسراء

والعطاءات الحضارية للإسلام شملت كل مجالات الحياة، ومجالات المجتمع، ومجالات العلم، ومجالات الكون. فقد أرسى الإسلام دعائم أول حضارة، وأول مجتمع في التاريخ لا يؤسس على أساس إثنى أو عنصري وإنما على دعائم إيمانية قيمية أخلاقية تساوى بين كل البشر دون أي تمييز، أول مجتمع تعددي لأن اختلاف البشر فى الدين، وفي اللون، وفي الجنس، وفي اللسان سنة من سنن الله في كونه، أول مجتمع يؤسس على عقد اجتماعي واقعي، ويحكمه دستور يحدد حقوق الناس وحرياتهم، وحقوق الحاكم والمحكومين وواجباتهم.

وقد أهدت حضارة الإسلام المنطلقة من الكتاب والسنة للإنسان لأول مرة ما نعرفه الآن بحقوق الإنسان وحرياته وكرامته. هذه الحقوق والحريات والكرامة، ليست منحة من حاكم أو من دولة، ولم يتوصل إليها الناس نتيجة لكفاحهم ونضالهم، وإنما هى منحة من الخالق لكل الخلق، مضمونة بوحدة الخالق، ووحدة الأصل البشرى، وتكريم الله الخالق لكل الناس، وليس لفئة معينة (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (٧٠) سورة الإسراء

كل هذا يعنى أن الإسلام هو تاريخ الميلاد الحقيقي لكل ما يعده الغرب إفرازاً للعقل العربي بعد عصر النهضة، ويفاخر به العالم كله. فالإسلام هو تاريخ الميلاد الحقيقي لحقوق الإنسان، وحرياته وكرامته، تاريخ الميلاد لتحرير المرأة والرجل، تاريخ ميلاد حقوق الطفل، وتاريخ إرساء أول دولة في التاريخ تقوم على أسس دستورية، دولة تلغى فيها كل أشكال التمييز بين البشر على أساس اللون أو العرق أو النسب، أو الطائفة، أو الغنى والفقر...، كانت دولة الرسول ﷺ هى أول دولة يؤسس فيها مبدأ انفصال الدولة عن شخصية الحاكم، وهذا هو الشرط الذي يضعه فقهاء القانون الدستوري والعلوم السياسية لنشأة الدولة الحديثة. هذا المبدأ أرسى في حياة الرسولﷺ، وطبق تطبيقا كاملا في عصر الصحابة، وبعض العصور التالية.

إن الحضارة الإسلامية هي تاريخ الميلاد الحقيقي للديمقراطية المرشدة والمنضبطة بوحي السماء وهداية الله لخلقه، وهذه هي الشورى في المصطلح الإسلامي. والحضارة الإسلامية هي تاريخ الميلاد الصحيح والمنضبط لمفاهيم التعايش السلمي، والمواطنة، والتسامح والوسطية، والاعتدال.... الخ

وقد أكدت حضارة الإسلام بشكل قاطع على رفض كل صور الغلو والتطرف والإرهاب والعنف غير المبرر وغير المشروع، فالإسلام دين السلام والأمن لكل المواطنين داخل الدولة، ولكل الناس على مستوى العالم.

الحضارة الإسلامية أطلقت إبداع العلماء والمفكرين وأهدت العالم منظومات من العلوم الجديدة، سواء في مجال العلوم الإسلامية، أو العلوم الكونية، أو الرياضية، أو الاجتماعية والإنسانية، أو في مجال الفكر الفلسفي. وما هو أهم من هذا أن العقل المسلم هو الذي أبدع خطوات المنهج العلمي التجريبي الذي كان أساس إبداعات العلماء المسلمين في مجالات علوم الكون كالفيزياء والكيمياء، والفلك، والبصريات، والجغرافيا..، وكان هو منطلق الإبداع في مجال إنشاء علوم جديدة في مجالات الاجتماع، والتاريخ والإنسان، وتحقيق الروايات التاريخية (منهجية البحث التاريخي). وقد أبدع العقل الإسلامي في مجال الاقتصاد والقيم الاقتصادية استناداً إلى الحقائق القرآنية الثابتة في هذا الصدد. وقد كانت هذه العطاءات الإسلامية الأساس لانطلاق عصر النهضة في أوروبا والغرب بشكل عام.

قدمت الحضارة الإسلامية المستندة الى الوحي عطاءات جوهرية في مجال إرساء مؤسسة الأسرة وبيان أركانها وشروط قيامها، وضوابطها، ووظائفها، وحقوق وواجبات أعضائها. وقد أحاط الإسلام هذه المؤسسة بكل ضمانات السلامة والنظافة والحماية والاستقرار والشرعية.. وحتى بالنسبة لما يعتريها من أزمات، فقد أوضح الإسلام أساليب إدارة الأزمات والمشكلات الأسرية، بمنهجية ربانية لا يمكن أن تصل إليها أية منهجية بشرية. كذلك فقد كان عطاء الحضارة الإسلامية المنضبطة بهدى السماء واضحاً وجليا ومكثفا في مجال الاقتصاد فكراً وسلوكاً وفي مجال التربية وبناء الإنسان المؤمن بربه، والذي يؤدي واجبات الاستخلاف في عمارة الروح والنفس والأسرة والمجتمع والدولة والإنسانية كلها. وقد كان الإسلام سباقا الى معالجة قضايا الصحة النفسية، وربطها بالتربية وحسن الخلق.

كما كان للإسلام عطاؤه الذي لا يصل إليه عطاء وضعي في مجال وضع ضوابط أخلاقية في مجال الحروب والنزاعات المسلحة، وقد حرص الإسلام بشكل لا تصل إليه آية اتفاقات وضعية محلية أو إقليمية أو دولية، على حماية غير المقاتلين من المدنيين، سواء الشيوخ أو النساء أو الأطفال أو العباد، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين. بل إن أول آية شرع فيها القتال، أوضحت بجلاء أن الإذن بالقتال إنما شرع دفاعا عن الدولة، وعن الدعوة، ولنصرة المظلومين، وتحرير الناس، والدفاع عن حرية الأديان جميعاً، وعن أمن الذين يمارسون العبادات المختلفة، والذين يدينون بأديان مختلفة.

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(٣٩ - ٤٠) سورة الحج

والبيع والصلوات والصوامع... كلها أماكن لعبادة غير المسلمين، يحميها الإسلام حماية كاملة، حتى أثناء النزاعات المسلحة. ومن أبرز عطاءات الحضارة الإسلامية أنها ربطت كل الأنشطة والنظم والمنظمات والمؤسسات والعلاقات داخل المجتمع الواحد، بين المجتمعات والدول، ربطت هذا كله بالمبادئ والضوابط الأخلاقية، على العكس تماما من كل الحضارات السابقة على الإسلام، وفى الحضارات اللاحقة والمعاصرة اليوم. هذه الحضارات التي تعلى من قيم الفردية، والمادية، والنفعية والبرجماتية غير المنضبطة، وتفصل تماما بين الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية وبين القيم الأخلاقية، وتعلى من قيم الاستمتاع الحسي عند الإنسان دون أية ضوابط دينية ،هذا ما أدى الى ظهور، بل وتشريع أنواع مختلفة من الانحراف كالجنسية المثلية والبغاء.. الخ

حضارة الإسلام كان لها عطاؤها المتميز في مجالات عديدة مثل مجالات تحرير الإنسان ومجال الأسرة، الاقتصاد، السياسة، والتربية، والحفاظ على توازن ونقاء البيئة، ومجال التنمية الشاملة وبناء أقصى قدر ممكن من القوة في كل مجالات الحياة والمجتمع، اعتبارا من القوة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية الأسرية، والفكرية... وحتى قوة الشخصية التي تفرزها التربية الإسلامية. لكن كل هذه الأنواع من القوة إنما تنبثق أساسا من القوة الإيمانية والقيمة الأخلاقية، والمسئول عن بناء هذه القوة الأخيرة، كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع المسلم. وهنا يجب أن تتكامل هذه المؤسسات، اعتباراً من الأسرة، إلى العائلة الأكبر، إلى المسجد والمدرسة، والإعلام،

والنوادي، ومجتمع الجيرة، والمجتمع المحلي، ومختلف المؤسسات الحكومية وغير الحكومية داخل المجتمع العام.... الخ

وإذا ما حاولنا إيجاز معطيات حضارة الإسلام للإنسانية ولكل المجتمعات والدول والمؤسسات، بل للفرد منذ أكثر من أربع عشرة قرنا، قلنا: إن الإسلام اهتم بالعمارة والبناء بالمفهوم الواسع، بناء الإنسان، وبناء الجماعة، وبناء الأسرة الصالحة، وبناء الاقتصاد، وبناء السياسة، وبناء القوة، وبناء العلاقات الشرعية النظيفة الطاهرة بين الرجل والمرأة، وبناء القيم العليا ومكارم الأخلاق التي تحكم فكر وسلوك وعلاقات الناس، وتحكم العلاقات بين الدول، وتحكم كل نظم ومؤسسات المجتمع. ولا شك أن هذا كله يمكن فهمة واستنباطه من مصادر الشريعة الأساسية – القرآن والسنة– ومن أقوال الفقهاء والمفسرين وعلماء القرآن والسنة. يقول تعالى (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (٦١) سورة هود، وقد بين القرآن والسنة أنواعا كثيرة من العمارة المطلوبة، ونستطيع إيجازها فيما يلي:

أولا: عمارة الإنسان: بالتربية وغرس العقيدة والقيم ومكارم الأخلاق

ثانياً: عمارة الروح: بربطها بخالقها من خلال العقيدة والعبادات وتطبيق أحكام الشريعة في النيات والأفكار، والسلوك، والعلاقات... الخ، ومن خلال التقوى ومراقبة الله في السر والعلن.

ثالثاً: عمارة النفس: تزكية النفس اللوامة، وقمع النفس الأمارة بالسوء، وتنقية النفس من كل الآثام والشرور، كالحقد والحسد، والغيبة، والنميمة، وعدم حب الخير للآخرين، والأنانية، والآثرة... الخ

رابعاً: عمارة العقل، بالمعرفة، والعلم والتعليم... لكل ما ينفع الإنسان وأسرته ومجتمعه والناس جميعاً. وقد كانت أول آية نزلت في الذكر الحكيم هي (اقرأ)

خامساً: عمارة الجسد: بالصحة، والنظافة، والاعتدال، وإعطاء كل ذي حق حقه، وبالرياضة المقبولة، والبعد عن كل ما يؤذى الجسد من محرمات كالخمر، والمخدرات، والزنا، والإسراف في كل الأمور(أكل – سهر – شرب...) وهذا يعني تطبيق منهج الوسطية المنضبطة بأحكام الشرع.

سادساً: عمارة الأسرة: تطبيق معايير وأحكام الإسلام، في الاختيار، وبناء الأسرة، وفي وظائفها، وأداء مهام أعضائها – سواء في مجال حفظ حقوق كل عضو، أو في مجال حُسن إعداد وتربية الأبناء، أو في مجال العشرة بالمعروف، وتحقيق السكن والمودة والرحمة لأعضائها...

سابعاً: عمارة المجتمع، تطبيق منهج الله في الشورى وحق الناس في الحرية والتمتع بحقوق الإنسان وحفظ كرامته، المضمونة من الخالق، وعدم التميز بين الناس على أي أساس غير التقوى، والعمل الصالح، وتحقيق الخير والمصالح المشروعة. وعمارة المجتمع إنما يكون بأعمال فريضة التنمية، وإعمال العقل، والوصول إلى سنن الله في الكون والمجتمع والتاريخ والإنسان.. وهذا يعني تفعيل فريضة طلب العلم، وذلك لبناء القوة الشاملة في المجتمع المسلم. هكذا تكون عمارة المجتمع في الحضارة الإسلامية، بتطبيق قيم النهضة والرحمة، والعدالة بالمعايير الإسلامية.

ثامناً: عمارة المجتمع الدولي: وهذا يكون من خلال إعلاء وإفشاء قيم الأمن والسلام والتعايش السلمي التي أوجبها القرآن الكريم، وجاءت واضحة وصريحة في أحاديث الرسول ﷺ، عند تأسيسه لأول دولة إسلامية في المدينة، حيث كان أول ما قال (يا أيها الناس: افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام. تدخلوا الجنة بسلام) رواة الترمذي، وابن ماجه، والدرامي. مشكاة المصابيح ١ / ١٦٨. والسلام هو الأصل في العلاقات الدولية، أما الحرب فهي حالة طارئة يتم اللجوء إليها عند الضرورة، وليست أصلا من أصول الدين.

وقد حرص الإسلام متمثلا في القرآن والسنة وما فعله النبي ﷺ والصحابة على إرساء ثقافة التعايش السلمي داخل المجتمعات، وبين الدول، فلا عدوان إلا على الظالمين. ولم تشرع الحرب في الإسلام إلا للدفاع عن الدولة، أو عن الدعوة، أو عن المستضعفين، للقضاء على الفتنة. وهذا ما سوف نفصله في فصول الدراسة الحالية. وقد سبق الإسلام كل القوانين الدولية والإنسانية المعاصرة فيما يتصل بتحقيق الأمن والسلام وعدم نقض العهود، وإعمال المعاهدات التي تحفظ حقوق الدول والمجتمعات.

تاسعاً: عمارة الدنيا، تطبيق أمر الله في عمارة الأرض من خلال الإيمان بأركانه الستة، والإسلام بأركانه الخمسة، ومن خلال عمارة الأرض بالزراعة والصناعة والتجارة والخدمات ومن خلال الاستمتاع بالطيبات التي أحلها الله (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ

وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (٣١) سورة الأعراف، فالعمارة في مصطلح الدين الإسلامي، هي التنمية الشاملة المنضبطة بالقيم الأخلاقية، في المصطلح المعاصر .

عاشراً: عمارة الآخرة: الدنيا مزرعة الآخرة. والدنيا دار اختبار، وابتلاء، وبناء للآخرة. وتتمثل عمارة الآخرة في قوله تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (٧٧) سورة القصص كما تتمثل في آخر آية نزلت في القرآن الكريم وهي قوله تعالى (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) (٢٨١) البقرة

وقد استخدمت في دراستنا الحالية منهجاً يقوم على مجموعة من الخطوات أوجزها فيما يلي:

أولاً: تصنيف عطاء الحضارة الإسلامية المنضبطة بهدى الله ووحي السماء، إلى بني الإنسان، إلى ثلاثة أقسام وقد جعلت كل قسم منها بابا مستقلا في هذه الدراسة وهي على النحو التالي:

١- **الباب الأول:** ويعالج عطاء الحضارة الإسلامية في مجال: العقيدة – والقيم – ومكارم الأخلاق وقد تضمن هذا الباب ستة فصول وهي

- **الفصل الأول:** عطاء الإسلام في مجال العقيدة، وإفشاء السلام، وإرساء مبدأ المواطنة.
- **الفصل الثاني:** عطاء الإسلام في مجال بناء النهضة الحضارية، وإرساء قيمها.
- **الفصل الثالث:** عطاء الإسلام في مجال إرساء مبدأ حقوق الإنسان وحريانه وكرامته تنظيرا وتطبيقا.
- **الفصل الرابع:** عطاء الإسلام في مجال الاقتصاد وإرساء القيم الاقتصادية التي تحكم الفكر والسلوك الاقتصادي عند الإنسان.
- **الفصل الخامس:** عطاء الإسلام في مجال إرساء ثقافة السلام والتعايش السلمي بين كل الناس. وذلك على المستوى النظري والتطبيقي.

الفصل السادس: عطاء الحضارة الإسلامية في مجال القيم التي تحكم الحرب والصراعات المسلحة.

٢- الباب الثاني : عطاء الحضارة الإسلامية في مجال إعلاء قيمة العقل والعلم، والإبداع العلمي، واكتشاف العقل المسلم للمنهج العلمي التجريبي، وأثر ذلك في إطلاق النهضة الأوروبية. وقد تضمن هذا الباب خمسة فصول وهي:

الفصل السابع: العطاء الإسلامي وقضايا الإعجاز في القرآن الكريم، والضوابط الحاكمة لذلك.

الفصل الثامن: عطاء الإسلام في مجال الإبداع العلمي عند المسلمين.

الفصل التاسع: مجالات الإبداع العلمي عند المسلمين.

الفصل العاشر: العطاء الإسلامي في مجال إبداع المنهج العلمي، المنهج التجريبي إفراز العقل المسلم.

الفصل الحادي عشر: الإبداع العلمي عند المسلمين، وأثره في إطلاق النهضة الأوروبية.

٣- الباب الثالث

عطاء الحضارة الإسلامية في مجال بناء النظم والمؤسسات الاجتماعية. ويتضمن أربعة فصول، وهي:-

الفصل الثاني عشر: الإبداع الإلهي في بناء الأسرة المسلمة، في مواجهة قيم العولمة والتحديات المعاصرة.

الفصل الثالث عشر: العطاء الإسلامي في مجال التربية والصحة النفسية

الفصل الرابع عشر: العطاء الإسلامي في مجال السياسة وبناء الدولة الدستورية – دولة الرعاية والرفاهية المنضبطة بهدى الله.

الفصل الخامس عشر: عطاء الحضارة الإسلامية في مجالات أخرى. وقد تناولنا ستة مجالات وهي:-

- منهج الإسلام في مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية.
- منهج الإسلام في الحفاظ على توازن البيئة ونقائها.
- منهج الإسلام في تحرير المرأة وحفظ كرامتها.
- عطاء الحضارة الإسلامية في مجال التشريع الجنائي.
- عطاء الحضارة الإسلامية في مجال تفسير الانحراف والسلوك الإجرامي.
- استراتيجية الإسلام في مواجهة الانحراف والسلوك الإجرامي
- عطاء الحضارة الإسلامية في مجال التنمية وعمارة المجتمع والأرض.

خاتمة عامة للدراسة

ثانياً: عند عرض الجوانب المختلفة للعطاء الحضاري للإسلام في المجالات التي عرضت لهـا، لم أكتف بعرضها بالشكل الذي يتبعه المشتغلون بالثقافة الإسلامية، وهو عرض له منهجيتـه وأصـالته وأهميته، وإنما ركزت بشكل كبير على أثر هذه العطاءات الحضارية الإسلامية في صياغة وتـشكيل وتصحيح حركة التطور الاجتماعي، ومسيرة المجتمعات غير الإسلامية، وإطلاق النهضة الحـضارية في الغرب والشرق. ومن ذلك على سبيل المثال إطلاق الإسلام لأول مرة لمفهوم الدولة التي تؤسس على عقد واقعي، ودستور محكم، وإبداع الإسلام لمفهوم الدولة المدنيـة ذات المرجعيـة الدينيـة، وانفصال الدولة الإسلامية بعد الرسول عليه الصلاة السلام، عن شخصية الحاكم وإطلاق الإسلام، قبل الثورات الانجليزية والفرنسية وقبل المواثيق الدولية المعاصرة، لمنظومة حقوق الإنسان، وحرياتـه وكرامته، ومنع أي شكل من أشكال التمييز على أساس الدين أو اللـون أو العـرق أو اللغـة أو الطبقة..، وإطلاق فكرة وتطبيق تحرير المرأة، والديمقراطية، والتعـايش الـسلمي، وقـيم العدالـة والمساواة، والقيم التي تحكم الحرب والسلم، حقوق غير المحاربين (دون تمييز علـى أي أسـاس) في حالات النزاعات المسلحة. وقد حرصت كذلك على إبراز الإبداع العقلي والعلمي والمنهجي عنـد المسلمين – إبداعهم لمجالات علمية جديدة، وحفظهم لتراث كل الحضارات السابقة عليهم، وقراءة هذا التراث قراءة نقدية تحليلية على ضوء هدى الإسلام عقيدة وشريعة، وشرح ما هو مهم في هـذا التراث. وما هو أهم إبداع المنهج العلمي الاستقرائي التجريبي، والتجديد في إبداع منهجية القيـاس بشكل يختلف جوهريا عن القياس عند أرسطو. وقد كان لعلماء أصول الفقه، جنبا إلى جنبـا مـع جهود كبار علماء المسلمين الذين انطلقوا إلى دراسة الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ، كان لهـم الفضل الأول في اكتشاف المنهج التجريبي وتطبيقه وبيان خطواته. وهذا هو العامل الرئيس في كـل ما تعيشه حضارة اليوم من ثورات علمية ومعرفية وتكنولوجية. وقد حرصت على إبراز أثـر هـذه النهضة والثورة العلمية والمعرفية والتطبيقية التي أطلقها علماء المسلمين تحـت توجيهـات القـرآن والسنة، على إطلاق وظهور عصر النهضة في أوروبا، وبالتالي على تفوقها وتميزها وإبداعاتها العلمية والتكنولوجية والاقتصادية المشاهدة اليوم.

ثالثاً: عند عرض عطاء الحضارة الإسلامية للإنسانية في مختلف جوانب الحـضارة، لم أكتـف بإبراز أراء علماء المسلمين ومؤرخي العلم منهم، ولكن الحق ما شهدت به الأعداء. أو نقـول مـا شهد به غير المسلمين من العلماء والمؤرخين والمفكرين. ولهذا حرصت كل الحرص في كل مجال مـن

مجالات عطاء الحضارة الإسلامية، أن أستعين، بل وأقتبس فقرات من آراء المستشرقين. وعلماء غير مسلمين، الذين يبرزون فيها حجم وأهمية العطاءات الإسلامية بالنسبة للغرب والحضارة الإنسانية.

هؤلاء العلماء درسوا الإسلام وعطاء حضارته للإنسانية بحيدة وموضوعية، بعيداً عن التحيز أو التعصب، أو الأهداف والفروض المسبقة، فأنصفوا حضارة الإسلام، وأبرزوا ريادتها في كل مجالات الإبداع الحضاري. وهذا يعني كما يقول هؤلاء العلماء غير المسلمين، أن الغرب والحضارة الغربية عالة على الحضارة الإسلامية، في كل ما تتفاخر به اليوم من إنجازات، سواء على المستوى العلمي والمنهجي، أو على المستوى السياسي والاجتماعي مثل حقوق الإنسان والحريات، وتشريع القانون الدولي الإنساني، أو النظام أو النظافة، أو احترام الوقت، والدافعية للإنجاز، أو الإبداع التكنولوجي، حتى على مستوى الثورة المعرفية والمعلوماتية... الخ

هذا ما شهد به الأمير تشارلز في إنجلترا، وزجريد هونكة، وبرنارد شو، وكارين ارمسترونج، وهوفمان، وجارودي... وعشرات غيرهم. ويبقى بعد هذا تساؤل مهم، وهو: لماذا تخلى المسلمون عن هذه العطاءات الحضارية الكبرى، فتخلفوا وأصيبوا بالتمزق والتبعية والتراجع على جميع المستويات، ولماذا أخذت دول أخرى هذه العطاءات فتفوقت وازدادت قوتهم في جميع المجالات، مثل الغرب، وبعض دول الشرق ؟ هذا يحتاج إلى معالجة، بل معالجات متخصصة من فريق من المتخصصين، كل في مجال تخصصه، ويكفي هنا التشخيص المبدئي العام، بالقول بأن السبب هو أن المسلمين تخلو عن تطبيق منهج الله في مجالات الحياة المختلفة، ففشلوا وتخلفوا وتمزقوا وتصارعوا، أما الآخرون فأخذوا ببعض جوانب منهج الله (في العلم والمعرفة والتعليم والإنجاز...) فنجحوا وتفوقوا. وهذه سنة من سنن الله. فالخلق كلهم عيال الله، والله لا يحابي أحداً.

قال تعالى: (كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا) (٢٠) سورة الإسراء

رابعاً: عند عرض العطاءات الحضارية الإسلامية للإنسانية لم أكتف بعرض هذه العطاءات في مختلف مجالات الحياة والمجتمع – كالعلم، والمنهج، وحقوق الإنسان، والحريات، والتعايش السلمي، والقيم الحاكمة للحرب والنزاعات المسلحة، ولحقوق غير المسلمين داخل المجتمع المسلم، وتحقيق التكافل والضمان الاجتماعي لكل من يعيش داخل الدولة المسلمة دون تمييز على أساس الدين أو اللون أو الحسب والنسب، أو عند عرض أسس بناء الدولة ومعايير اختيار الحاكم عندما عرضت

لهذه الجوانب الحضارية المشرقة في حضارتنا الإسلامية ولم أكتف بالاستشهاد بأهم مصدرين للشريعة وهما الكتاب والسنة، وإنما رجعت إلى التاريخ للبرهنة على أن هذه القيم الحضارية الإسلامية، قد تم تطبيقها فعلا في الواقع الاجتماعي والحياتي للمسلمين وغير المسلمين داخل المجتمع المسلم. وأن هذه المنظومة من العطاءات الحضارية تجمع بين المثالية والواقعية التطبيقية، فهي ليست يوتوبيا أو مثاليات خيالية غير قابلة للتطبيق. فقد تم تطبيقها في التاريخ الإسلامي. وقد حرصت على إبـراز الفـروق الشاسعة بين التطبيق الإسلامي، والتطبيق غير الإسلامي، من خلال العروض التاريخية.

خامساً: في مجال التوثيق، حرصت على دقة التوثيق، والرجوع إلى كتب كبار علماء الإسلام، وكبار المتخصصين في مجالات التاريخ والحضارة والدراسات الشرعية والاجتماعيـة، والإنـسانية، ودراسات مؤرخي العلم من العرب والأجانب، وإلى دراسات العديد مـن المستـشرقين ودارسـي الحضارة الإسلامية من غير المسلمين. وقد رجعت إلى بعض كتب التراث في المجالات التي تتطلـب ذلك. وقد آثرت التوثيق أسفل كل صفحة ليسهل على القارئ الرجـوع الى المـصدر أو المرجـع بسهولة.

سادساً: بالنسبة للاستشهادات من القرآن الكريم والسنة المطهرة، حرصت على كتابة السورة ورقم الآية بعد عرض الآيه مباشرة، وحرصت على تخريج الأحاديث النبوية الشريفة... وعند تكرار الأحاديث اعتمدت على التخريج السابق.

سابعاً: حاولت ترتيب أهم العطاءات الحضارية للإنسانية بشكل انتقائي. فقد وجدت أن هذه العطاءات لا يمكن الإلمام بها في مؤلف واحد. كذلك فقد وجدت أن عشرات، بل مئات العطـاءات الحضارية الإسلامية تحتاج إلى فريق عمل من مجموعة من المتخصصين، كل يكتب في أحـد مجـالات تخصصه الدقيق بشكل أكثر عمقاً ومنهجية وإحاطة. ولهذا فقد وجدت في هذا المؤلف أن أنتقى مـا أعتبره أبرز وأهم العطاءات. وقد وجدت نفسي أعالج أكثر من اثنين وعشرين مجالا، وهي التي سبق أن أوضحتها في بداية عرض منهجية الدراسة، وقد خصصت لكل مجال فصلا كاملا، ثم عرضت في الفصل الأخير لحوالي ستة مجالات أبدعت فيها الحضارة الإسلامية، وأهدتها للبشرية، ولهذا فإني على وعي كامل بأن كل مجال من هذه المجالات يستحق مؤلفاً مستقلا، وقد لا يكفي. كذلك فإني أعي أن ما قدمته يشوبه بعض أوجه النقص الذي يشوب أي عمل علمي بشري. لكنني أدرك أيضا أن كل من يكتب في مجالات عطاء الإسلام للحضارة الإسلامية يحتاج إلى طرح متكامل لهـذه العطـاءات

ينطلق منها، كما يحتاج إلى رؤية تحليلية منهجية لهذه العطاءات تتسم بالشمول والتكامل والإحاطة، وهذا ما أرجوا أن أكون قد وفقت في تقديمه في دراستنا الحالية. وحسبي هنا شرف المحاولة، وفتح المجال أمام الباحثين المتخصصين، حيث ينتقى كل منهم أحد هذه المجالات للكتابة فيه. وإذا كان لي أن أقدم اقتراحا، وأرجو من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية النظر فيه أو أى مؤسسة بحثية إسلامية كبرى كمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أو رابطة العالم الإسلامي أو رابطة الجامعات الإسلامية أو غيرها، **فإني أقدم اقتراحاً من شقين:**

الأول: تكليف فريق من المتخصصين بالكتابة في هذه المجالات التي كان للحضارة الإسلامية شرف الريادة فيها، والتي قدمتها للبشرية، وأفادت منها دول العالم أجمع، كل في مجال تخصصه. وبهذا نصل إلى ما يمكن أن نطلق عليه – موسوعة العطاءات الحضارية الإسلامية للإنسانية

الثاني: ترجمة كل فصل من فصول دراستنا الراهنة بشكله الحالي أو بعد إجراء تعديلات، وطباعة كل فصل ككتيب بلغات العالم تحت عنوان (سلسلة العطاءات الحضارية الإسلامية للإنسانية، والعمل على تعميم هذه السلسلة على مكتبات أوروبا وأمريكا وجامعاتها ومعاهدها، وتوزيعها في تلك الدول بأسعار زهيدة جدا. ويمكن لسفاراتنا وما يتبعها من ملحقيات تعليمية وثقافية وإعلامية... أن تسهم في نشر وتوزيع هذه الكتيبات في كل دول العالم. ولا شك أن هذه خطوة مهمة لتعريف العالم بحقيقة الإسلام، ونقله من الظلمات إلى النور، وأن هذه الحضارة بضوابطها الإلهية وأحكامها الشرعية، وقيمها الهادية، هى السبيل الوحيد لإنقاذ دول عالم اليوم مما يعانيه من أزمات عميقة على كل المستويات.وفى هذه السلسلة، يجب أن تقدم شهادات علماء الغرب المنصفين.

فهذه (زجريد هونكة) تقول في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) (١) (لم تكن بيظنطه، ولا بلاد السريان، ولا إيران، هي القنطرة التي تصل بين الثقافة الشرقية والغربية. ولم تكن جميع هذه البلاد هي التي ظهرت على المسرح الثقافي العالمي، كحاملة لمشعل الثقافة القديمة، ومكملة لها. أما الشعب الذي خلف الثقافة القديمة، وحصل على لواء النهضة العلمية الفكرية في العالم، فهو شعب صحراوي، خرج من الصحراء. وبسرعة البرق قبض على صولجان السيادة الثقافية في العالم. وظل أبناء الصحراء حاملين لهذا الصولجان دون منازع مدة لا تقل عن ثمانية قرون. كما أن هذه الثقافة

(١) راجع سيوف العقل: من كتاب شمس العرب تسطع على الغرب – زجريد هونكة: في كتاب: الإسلام في عيون المنصفين – سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٦٧ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٩ ص ١٢

العربية قد تفتقت وأزدهرت ، وأينعت أكثر من الثقافة اليونانية. كما كان العرب أخصب وأقـوى من اليونانيين)

وقالت هونكة عن الفتوحات التحريرية الإسلامية، (وقد صور بعض المؤرخين المغرضـين هـذه القبائل على أنها عصابات من اللصوص وقطاع الطرق. لكن الحقيقة غير هذا. والذى دفع هـؤلاء المؤرخين إلى هذا الافتراء هو الاختلاف العقائدى) (٢)

(ولم تمض على هذه القبائل المتخاصمة المتحاربة زمن طويل حتى أصبحت وحدة قوية نجحـت في تكوين أمة يخشى بأسها وذلك بفضل الدين الإسلامي الحنيف الذي أشـعل في نفوسـهم الحمـاس والشعور بالأخوة، بعد أن سادت بينهم الفرقة والحزازات القبلية زمنا طويلا. أما الإسلام فقد آخى بين معتنقيه وخلق بينهم الأخوة الإسلامية) (٣)

وتساءلت هونكة. بقولها عن تسامح المسلمين ورفعهم شعار (لا إكراه في الدين) تقول: (كم من الشعوب التي عرفها التاريخ وقفت من المغلوبين المهزومين والذين يدينون بدين أو أكثر يخالف ديـن المنتصرين، موقف العرب الذي اتسم بالإنسانية والتسامح) (٤)

(وإذا أضفنا إلى هذا الموقف الكريم الذي وقفه العرب والإسلام من الشعوب التي انضوت تحت رايتهم، هذه المثابرة على نشر الثقافة العربية الإسلامية، وهى ثقافة تختلف في جوهرهـا عـن هـذا الطلاء الهيليني، أو القشور الرومانية ازددنا تقديرا وإعجابا بالعرب) (٥)

وقالت عن فضل العرب في حفظ تراث الحضارات القديمة: (وإذا أضفنا الي جميع هذه العوامـل موقف الكهنوت المسيحي من الحكمة اليونانية، وإصرار هذه المسيحية على القضاء عليها وإعدامها، لأدركنا الوضع الذي كانت عليه هذه البلاد أولا، ومدى الخطر المحدق بالتراث القديم ثانياً، والموت المحقق لهذه العلوم ثالثا. ولكن العناية الإلهية أرادت لهذا التراث الحياة، فبعثت أبناء الصحراء، وقـد عمرت قلوبهم بإيمان الإسلام، ودعوته الجديدة فسارعوا إلي تلك الحضارات العقلية فأنقـذوها ممـا يتهددها. وبعثوها بعثا جديداً فتيا. ولولا هذا الفتح الجديد، لظلت الثقافة القديمة دفينة ميتة. (٦)

وقالت زجريد هونكة تحت عنوان (شعار المنتصر) (لا إكراه في الدين) هكـذا يقـول القـرآن الكريم. فلم يجل في خاطر العرب أن يكرهوا الشعوب الخاضعة لهم على اعتناق الإسلام. وتحـدثت

---

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ص ١٤

(٤) المصدر السابق ص ١٧

(٥) المصدر السابق ص١٧

(٦) المصدر السابق ص ١٨

عن المسيحيين، والصابئة، والبارس، واليهود وأصحاب الديانات المختلفة فقالت (لقد احتفظوا بدور عبادتهم، وأديرتهم، وأساقفتهم، ورهبانيهم. هذا أمر عجيب حقا. إن مثل هذا لم يقع من قبل) (٧)

وقد أدركت هونكة حقيقة أن العلم في الإسلام فريضة وقالت (هذا يتفق تماما مع حديث الرسول ﷺ (طلب العلم عبادة)، وأن العلم (فريضة على كل مسلم ومسلمة) فطلب العلم فريضة دينية (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) (٨) وتقول (هونكة) أن هناك حملة ظالمة ضد الإسلام والمسلمين وإنها بكتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) إنما تقدم الشكر للمسلمين على ما قدموه من عطاءات حضاريه للبشرية، وإن كان هذا الشكر جاء متأخراً. وقالت عن تحرير الإسلام للمرأة. (كان رسول الإسلام يعرف أن المرأة ستجد طريقها بجوار الرجل يوما ما. لهذا آثر أن تكون المرأة متدينة. لها لباس معين حتى تقي نفسها شر النظرات، وشر كشف العورات. ورجل بهذه العبقرية، لا أستطيع القول إلا أنه قدم للمجتمع أسمى آيات المثاليات وأرفعها. وكان جدير أن تظل (٩) الإنسانية مدينة لهذا الرجل الذي غير مجرى التاريخ برسالته العظيمة) والعديد من المفكرين الغربيين المحايدين أدركوا عظم محمد وعظم الرسالة الإسلامية، وأنها كما أضاءت للعالم طريقه في عصر النهضة وقبل ذلك ومنذ بداية الوحي الرسالة، فإنها يمكن أن تنقذ العالم من أزماته المعاصرة.

فهذا الفيلسوف المعاصر والأ ب الانجليزي الشهير برنارد شو ألف كتابا مهما عن الإسلام وعطاءاته الحضارية بعنوان (محمد) وقد قامت السلطات البريطانية بحرق هذا الكتاب، مما يؤكد عنصرية الغرب وبعده عن الموضوعية والحيدة العلمية. يقول شو في هذا الكتاب:

(إذا أوروبا بدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى (١٠) ويقول: (لذا يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة. وإني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم كله اليوم، لتم له النجاح في حكمة، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السعادة والسلام المنشود.

كما اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية (كما ادعى رجال الدين في العصور الوسطى) بل يجب أن يسمى منقذ البشرية) (١١)

---

(٧) المصدر السابق ص ٢٧

(٨) هونكه: ص ٣٤ – ٣٥

(٩) هونكه في الإسلام في عيون المنصفين العدد ١٦٦ قضايا إسلامية ٢٠٠٩ ص ١٤٢

(١٠) راجع كتاب: الإسلام في عيون المنصفين – العدد (١٦٦) جـ ١ ص ١٢٠

(١١) المصدر السابق ص١٢١

ويقول (إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمداً رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ.... إن التاريخ لم يسجل أن رجلا واحدا سوى محمد ﷺ كان صاحب رسالة، وباني أمة، ومؤسس دولة) (١٢)

وهناك العديد من المنصفين الغربيين الذين أدركوا حجم الإسهامات الحضارية الضخمة التي قدمها الإسلام للبشرية: فهناك العالم الفلكي الرياضي (مايكل هارت) صاحب كتاب (الخالدون مائة وأعظمهم محمد) ﷺ وقد وضع مجموعة من المعايير بعد أن طبقها وجد أن أعظم عظماء العالم المائة محمد ﷺ (١٣). وهو يقول عن سبب اختياره أن (محمد ﷺ هو الإنسان الوحيد الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي... وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا. وبعد وفاته بأربعة عشر قرنا، فإن أثر محمد ﷺ ما يزال قويا متجددا)

وقال: (ولما كان رسول الإسلام قوة جبارة لا يستهان بها، فيمكن أن يقال أيضاً أنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ) (١٤) هذا ما يقوله كثيرون يجب أن نبرزهم ونستثمر دراساتهم في عرض الإسلام الصحيح على الغربيين أو على غير المسلمين بشكل عام فهذا (ويل ديورانت) صاحب كتاب (قصة الحضارة) يقول:

(إذا حكمنا على العظماء بما للحكيم من عظمة، قلنا: إن محمداً عليه الصلاة والسلام كان أعظم عظماء التاريخ). وقال (لسنا نجد في التاريخ كله مصلحا فرض على الأغنياء من الضرائب، ما فرضه عليهم محمد ﷺ لإعانة الفقراء، وقال تدل الأحاديث النبوية أن النبي كان يحث على طلب العلم ويعجب به فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين) (١٥) وإذا تجاوزنا عن بعض مصطلحات هؤلاء المستشرقين المنصفين (مثل ضرائب وخلافه)، قلنا: إن هذا قليل من كثير، فهناك عشرات المستشرقين الموضوعيين، وعشرات أساتذة الحضارة والأديان المقارنة الموضوعيين في الغرب وفي كل بلاد الدنيا الذين أنصفوا الإسلام، وأقروا عظم قدر العطاءات الحضارية الإسلامية للإنسانية.

وما أردت أن أوكد عليه هو ضرورة استثمار هذه الآراء الموضوعية المحايدة والنزيهة، في عرض الإسلام الصحيح، في نقائه وعطائه ووسطيته، وفي إبراز حاجة البشرية إلى قيمه وعطاءاته لينقل عالم اليوم من الظلمات إلى النور، وليخلص العالم اليوم من أزماته ومشكلاته وصراعاته وثقافته المادية السلبية المدمرة للإنسان وللحضارة ولكل القيم العليا.

---

(١٢) المصدر السابق ص ١٢١ – ١٢٢

(١٣) راجع ما كتب عن مايكل هارت – منبر الإسلام: العدد (٦) السنة ٦٧ – يونيو ٢٠٠٨

(١٤) الإسلام في عيون المنصفين: ص ١٢٠

(١٥) المصدر السابق ص ١٤٧

هذه الاستشهادات وغيرها كثير، حرصت على إبرازها في فصول هذه الدراسة التي أرجو بها وجه الله ـــ وأن تكون – كما قلت – مدخلا إلى مزيد من الدراسات الأكثر توسعاً وعمقا وتخصصا من جانب، ومدخلا إلى عمل دراسات أكثر تبسيطا وأصغر حجما تترجم لكل لغات العالم، لتقديم الإسلام الصحيح وعطاءاته الحضارية الشامخة، لكل الناس، في أوروبا وأمريكا وكل دول العالم، ولمواجهة الهجمات الشرسة التي تشنها المؤسسات الإعلامية ومراكز صناعة الفكر الصهيونية وغيرها على الإسلام، وعلى المشروع الحضاري الإسلامي الذي يحاول إحقاق الحق ونشر العدل والمساواة، والذي يحفظ لكل إنسان حقوقه وكرامته وحريته وأمنه وسلامه... لكل إنسان دون استثناء ودون تمييز، والمشروع الحضاري الإسلامي بهذه المنطلقات الأخلاقية والقيمية المنطلقة من هدى السماء ورسالته إلى الإنسان، إنما يقف في وجه المخططات الصهيونية، ومخططات الإمبريالية والرأسمالية المتوحشة التي تنطلق من قيم الفردية، والنفعية، والأنانية، والمادية المسرفة، والتي تعلى من قيم الربح والاستمتاع الحسي إلى غير ما حد، دون أية ضوابط أخلاقية. وهذا ما يفسر لنا تركيز بعض القيادات الفكرية في الغرب من الصهاينة وأنصار الرأسماليه المتوحشة (مثل هانتجتون، وفوكو ياما، وفريدمان وغيرهم) والعلمانيين واللادينيين..... على تشويه الإسلام وإعلان الحرب ضده.

أسأل الله العون والسداد والتوفيق
هو مولانا ونعم النصير

دكتور / نبيل محمد توفيق السمالوطى